

النراثة المعماري في القدس الشريف

بالعهد الأيوبي ووسائل صيانتة وترميمه

د. شوقي شعث

● مدخل :

تمر القدس الشريف بحالة شبيهة بتلك التي مرت بها في زمن العدوان الافرنجي الصليبي عليها نظراً لأن المنطلقات التي انطلقت منها وارتكزت عليها الحركة الصليبية في تعاملها مع القدس الشريف تتشابه مع المنطلقات التي تنطلق منها الحركة الصهيونية ، فكلتا الحركتين ادعت وتدعي أن القدس ارض حضاري روحي لها دون غيرها ، وعليه لا بد من الاستحواذ عليها وجعلها مدينة تستجيب في عمرانها وعمارتها لتؤدي الوظيفة المطلوبة منها ، ومن هنا جاء اختياري للبحث في هذا الموضوع (١) .

نجحت الحركة الصليبية ، في غفلة من العالم الاسلامي بسبب تمزقه في أن تقيم بالقدس الشريف مملكة لاتينية خاصة لم يكن للمسيحيين الشرقيين (الأرثوذكس) ولا للمسلمين ولا حتى لليهود دور فيها وحاولوا أن تكون لاتينية خاصة فطردوا المسلمين منها ولم يبق فيها واحد منهم وكذا فعلوا باليهود والمسيحيين الشرقيين (الأرثوذكس) . وقد كانت مملكة القدس اللاتينية بمثابة المركز الروحي والسياسي الأم لجميع الامارات الافرنجية في شرق البحر الأبيض المتوسط التي جرت اقامتها (٢) .

أيقظ الغزو الصليبي الافرنجي لبلاد المشرق العربي الاسلامي واغتصاب القدس الشريف روح الجهاد والتحرير في نفوس القادة المسلمين الذين لم يقبلوا

أن تفتصب القدس وتظل في أيدي الأعداء الكفار فكانت الصحوة الاسلامية
الجهادية رفعت راية الجهاد لتحرير القدس والأرض المقدسة وظلت مرفوعة
حتى تحرر آخر شبر من الأرض بما فيها القدس الشريف ، كان أول من رفع راية
الجهاد التي ألحنا اليها القائد عماد الدين زنكي الذي كان أحد أتايكة الدولة
السلجوقية التي كانت تحكم الى جانب الخليفة العباسي ببغداد ، وقد استطاع
تحقيق نجاح كبير حين قضى على أول إمارة صليبية في الشرق وهي إمارة
الرها عام ١١٤٤ م ، وبذلك دق أول اسفين في نعش الحركة الصليبية وعبد
طريق التحرير أمام القادة العظام الذين جاؤوا بعده (٤) .

كان أبرز أولئك القادة العظام السلطان صلاح الدين الأيوبي أحد
القادة البارزين في جيش نور الدين بن عماد الدين المار ذكره ، الذي انتدب مع
عمه أسد الدين لنجدة الخلافة الفاطمية بمصر ومنع الافرنج من السيطرة عليها .
ورث صلاح الدين راية الجهاد التي رفعها عماد الدين ، كما ورث الروح التي سادت
في البلاد الاسلامية لدعم الجهاد في سبيل الله وتحرير القدس الشريف ، كما ورث
جزءاً كبيراً من الجيش الذي أعده للجهاد وأضاف اليه جيش مصر ، وجيش المغرب
الذي انتدبه سلطانه للمشاركة في تحرير بيت المقدس وفلسطين ، هذا الى جانب
الجيش الاسلامي الأخرى (٥) .

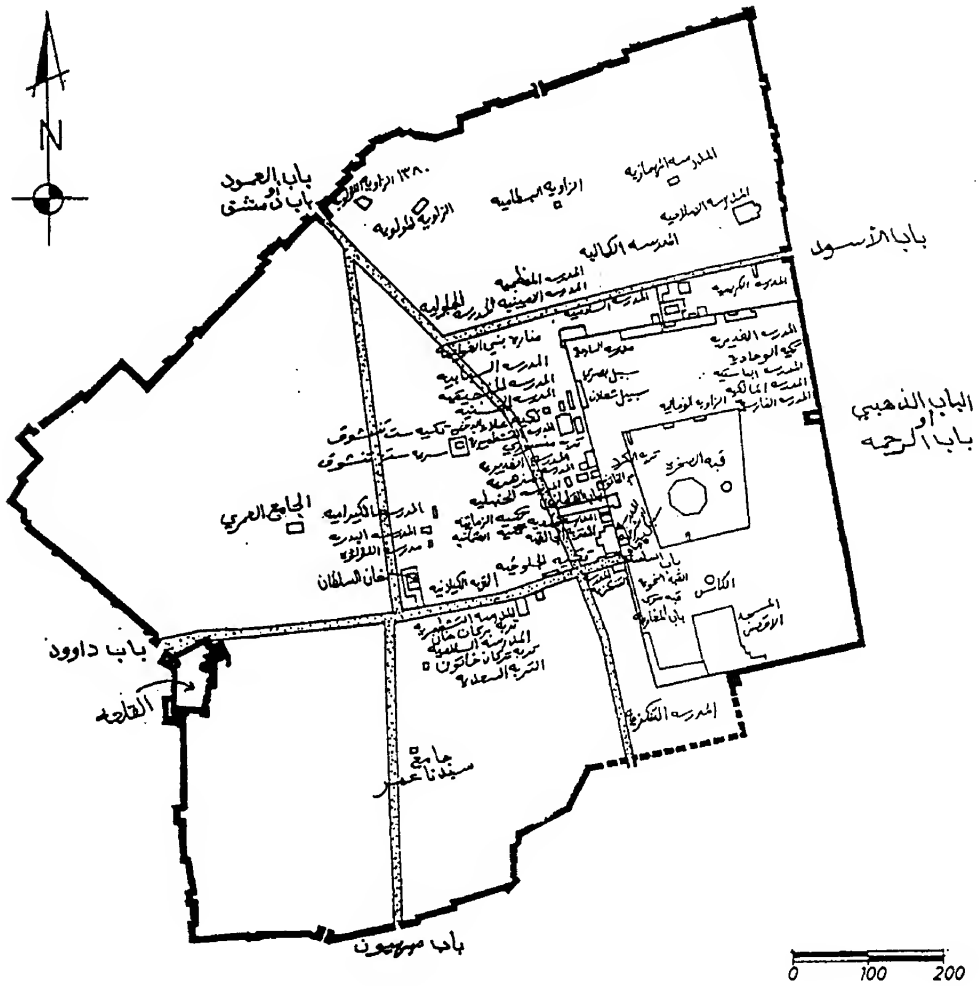
نجح صلاح الدين في الانتصار الكبير الذي أحرزه في معركة حطين الشهيرة الذي
فتح الباب واسعاً أمامه لتحرير القدس ونجح في ذلك بعد نحو ثلاثة أشهر
فقط من معركة حطين ، من تحريرها ، وقد كان لهذين الحادثين معركة حطين
وتحرير القدس الأثر البالغ على الحركة الصليبية برمتها في شرق البحر المتوسط
فقلبا موازين القوى السياسية ، محلياً ودولياً ، وأجبر الغرب الأوروبي آنذاك
على إعادة النظر في مشروعه المشرقي (٦) .

تم هذا التحرير أي تحرير القدس الشريف بعد اغتصاب افرنجي دام ثمانين
عاماً أو أكثر قليلاً وقد كان لهذا الحدث العظيم أهمية بالغة الأثر في العالم
الاسلامي وفي الدولة الأيوبية نفسها ، ويشير الى أهمية ذلك الحدث أنه في أول
خطبة للجمعة في بيت المقدس بالمسجد الأقصى حضر السلطان نفسه وكبار رجال

دولته تلك الخطبة وتنافس كبار علماء المسلمين على الخطبة أمام السلطان ، فقد فاز بذلك الشرف الرفيع القاضي محيي الدين بن الزكي القاضي الشافعية بدمشق وحلب ، وقد انتقى ابن الزكي لخطبته ألفاظاً بليغة مشيداً بالسلطان وبأهمية القدس الشريف عند المسلمين موضعاً الأسباب التي حارب المسلمون من أجلها لاسترداد القدس قائلاً :

« ٠٠٠ فهو موطن أبيكم ابراهيم ومعراج نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام وقبلتكم التي كنتم تصلون اليها في ابتداء الاسلام وهي مقر الأنبياء ومقصد الأنبياء وموقف الرسل ومهبط الوحي ومنزل ينزل به الأمر والنهي، وهو أرض المحشر وصعيد المنشر وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين وهو المسجد الأقصى الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين وهو البلد الذي بعث الله اليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها الى مريم وروحه عيسى الذي أكرمه برسالاته وشرفه بنبوته ، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته ، وهو أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين ٠٠٠ (٧) »

واجه السلطان بعد تحرير القدس الشريف عدة قضايا من أبرزها إعادة الوجه الاسلامي لمدينة القدس وإعادة سكانها الأصليين لها ، لان الافرنج خلال مدة اغتصابهم ، اغتصبوا كل المؤسسات الاسلامية السابقة كالمدارس والمساجد والزوايا وحولوها وغيرها لخدمة أغراضهم وذلك في إطار الطمس المتعمد لكل شيء يدل على الاسلام والمسلمين ، فلقد حرص السلطان على إعادة ما خربه الاحتلال الافرنجي الى ما كان عليه وترميم وصيانة القائم منه ، وازافة معالم جديدة اسهاماً منه في جعل القدس الشريف مدينة عامرة يجد فيها كل الناس على مختلف مذاهبهم وطوائفهم ما يهمهم^(٨) ، فقد قام بتطهير الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى ونقل اليه المنبر الذي كان نور الدين قد أمر بصنعه بحلب للمسجد الأقصى بعد تحريره محققاً بذلك رغبة سيده الذي عاش من أجلها^(٩) ، كما أقيمت تحت رعايته مؤسسات دينية وعلمية واجتماعية كثيرة بالقدس منها مدرسة للشافعية ورباط للصوفية وبیمارستان كلها حملت اسمه ، كما أعاد كنيسة القيامة إلى الكنيسة الأرثوذكسية التي كانت لها قبل الاغصاب الافرنجي ، كما سمح لليهود بالبقاء في المدينة والاقامة فيها بعد أن كان هذا محرماً عليهم ، وفوق ذلك نقل إليها عدة قبائل عربية وأسكنها في المدينة وحولها كي تصبح المدينة عربية اسلامية^(١٠) .



اعداد: ۵۰۰. مؤلف: ابو خلد
موضوع: تاریخ و جغرافیه

نجح السلطان صلاح الدين في إعادة القدس للمسلمين وإعادة المسلمين إليها ونجح في تعمير الأماكن الإسلامية المقدسة وترميمها وإقامة مؤسسات لخدمة المسلمين كما ألعنا ، وضمن حرية العبادة لكل أصحاب الديانات السماوية دون استثناء إلا أن عملية إقامة المؤسسات لم تتضمن إنشاء وبناء مؤسسات جديدة أحياناً واقتصر على تحويل المباني الفرنجية القائمة إلى مؤسسات إسلامية وقد يكون ذلك من باب إعادة الشيء إلى أصله أو إلى الرد على فعل الفرنج عند دخولهم المدينة^(١١) ولكن الراجع أن الامكانيات المادية لم تتوافر لديه بسبب انفاقه الكثير في معركة حطين وتحرير القدس ولا تزال المعركة قائمة من أجل تحرير البلاد الإسلامية التي بقيت في أيدي الأعداء وهو بحاجة إلى المال لتوفير العتاد والرجال للجهاد في سبيل الله ، وقد ارتد ذلك حتى على العمائر الأيوبية في سورية ومصر وغيرها من البلاد حيث نجدها متينة البنيان لكنها خالية من الزخارف والحليات المعمارية التي نجدها في العصور اللاحقة كالعصر المملوكي^(١٢).

تابع خلفاء السلطان صلاح الدين نهجه في الاهتمام بالقدس ، فقد شاركوه الاهتمام بجعل المدينة ذات وجه اسلامي، وشاركوه بتعميرها عن طريق إنشاء مبان دينية جديدة ، ومن أشهر هؤلاء ولده الأفضل (ت ١٢٢٥ / ٦٢٢) الذي أنشأ المدرسة الأفضلية التي أوقفها على أصحاب المذهب المالكي وجعلهم من المغاربة^(١٣) ومن هنا جاء اختيار موقعها لتكون في حارة المغاربة بالقدس الشريف وقد بنيت هذه المدرسة عام ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م ، ومنهم السلطان الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين الذي أقام عدة أسبلة لمياه الشرب داخل الحرم الشريف^(١٤) ، ويأتي بعده الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل (ت ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م)^(١٥) . لقد قام هذا الملك بتعمير أروقة الحرم الشريف وبنى برجاً بالقلعة وبنى مدرستين إحداها للحنفية حملت اسم المعظمية وتم بناؤها عام ٦١٤ هـ / ١٢١٧ - ١٢١٨ م والأخرى حملت اسم المدرسة النحوية (القبة النحوية) وأنشئت عام ٦٠٤ هـ / ١٦٠٧ م .

وعلى الرغم من اهتمام الأيوبيين بالمدينة المقدسة وحرصهم باستمرار على الاحتفاظ بها إلا أنهم سرعان ما اكتشفوا^(١٦) أن القدس لم تكن تعدل في أهميتها من الناحية الاستراتيجية دمشق أو القاهرة المركزين الهامين في الدولة

الأيوبية ، وعليه وبناء على ذلك ظهر لهم أنه بالامكان التنازل عنها للأعداء عند اشتداد الأزمات السياسية أو العسكرية لا سيما أن الافرنج الأعداء كانوا يلحون باستمرار على امتلاكها لتهدة الرأي العام الأوروبي أولاً ، حسب ادعائهم ، ولحفظ ماء الوجه ثانياً^(١٧) . فقد وقع الملك الكامل ابن السلطان الملك العادل وهو ملك مصر معاهدة مع الامبراطور فردريك الثاني عرفت بالمعاهدة الفردريكية - الكاملية قضت باعادة المدينة المقدسة الى الافرنج ، وقد وجدت هذه المعاهدة معارضة شديدة من المسلمين آنذاك^(١٨) ، إلا أن ضعف الملك الكامل ورغبته في الحصول على هدنة لاعادة بناء قوته هي التي دفعت الملك المعظم عيسى بتوقيع تلك المعاهدة ، ولعلها الأسباب نفسها التي دفعت الملك المعظم عيسى قبل ذلك الى هدم أسوار بيت المقدس والتسبب في تشتيت أهلها الى القاهرة ودمشق والكرك وغيرها من المدن الاسلامية حسب رواية المؤرخ المعاصر سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) . ويصف المقرئ صاحب كتاب السلوك^(١٩) ردة الفعل العنيفة التي واجه بها الناس تدمير أسوار القدس قائلاً (. . . وخرج الناس من القدس ولم يبق إلا نفر يسير منهم . . .) ، ويضيف أن الأفضل نقل ما كان في القدس من الأسلحة وآلات القتال . وعلى الرغم من الفرع الشديد الذي أصاب المسلمين في شتى أقطارهم لتسليم القدس ، إلا أن الملك الكامل لم يبذل جهداً في سبيل استعادة القدس حتى أنه عندما جاء الملك الناصر داوود ملك الكرك الى القدس واستردها أجبره على إعادتها الى الافرنج بسبب النزاعات الأيوبية الداخلية ، وظلت القدس بأيدي الافرنج الى أن تمكن الخوارزمية الذين جلبهم الملك الصالح نجم الدين أيوب للاستظهار بهم على أهله من تحرير القدس عام ١٢٤٤ م ، وظلت في أيديهم حتى وفاة آخر ملك أيوبي^(٢٠) . ومع هذا نجد الملك الصالح أيوب نفسه يوصي ولده بالتخلي عن القدس إن كان ذلك لا مفر منه بقوله : « وهذا العدو المخدول إن عجزت عنه وخرجوا من دمياط وقصدوك ولم يكن لك بهم طاقة وتأخرت عنك النجدة ، وطلبوا منك الساحل وبيت المقدس وغيرها فأعطهم ولا تتوقف على أن لا تكون لهم في الديار المصرية قعر قصبة »^(٢٢) .

وفي مكان آخر نجد الناصر يوسف الثاني الملقب بصلاح الدين سلطان حلب

يعرض على لويس التاسع التخلي عن القدس مقابل حلف يعقده معهم ضد المماليك ، القوة الاسلامية الفتية ، إلا أن العرض رفض (٢٣) .

عموماً ، تمكن الافرنج من حكم المدينة المقدسة نحو تسع وتسعين سنة منذ اغتصابهم الأول لها حتى استردادها منهم من قبل الخوارزمية ولكنها في فترات متقطعة على النحو التالي :

— من عام ١٠٩٩ — عام ١١٨٧ أي ٨٨ سنة وهي الفترة التي قامت فيها المملكة اللاتينية منذ قيامها حتى تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي (٢٤) .

— من عام ١٢٢٩ — عام ١٢٣٩ أي ١٠ سنوات وهي مدة المعاهدة الفردريكية الكالمية .

من عام ١٢٤٢ — عام ١٢٤٣ أي سنة واحدة تنفيذاً للاتفاق الذي تم بين الافرنج وملكين من ملوك الأسرة الأيوبية .

أما حكم الأيوبيين للقدس فكان نحو اثنتين وخمسين سنة وهي كالآتي :

من عام ١١٨٧ — ١٢٢٩ أي ٤٢ سنة .

ومن عام ١٢٣٩ — ١٢٤٣ أي ٤ سنوات .

ومن عام ١٢٤٤ — ١٢٥٠ أي ٦ سنوات .

بعدها دخلت القدس تحت سيطرة المماليك (٢٥) .

● المعالم التاريخية في القدس الشريف :

مر معنا أن السلطان صلاح الدين الأيوبي قد حول بعض المباني التي كانت قائمة قبل تحريره القدس والتي كانت من انشاء الافرنج الصليبيين أو من انشاء من سبقهم الى مبان عامة لصالح المسلمين . وعليه يمكن أن تحمل بعض المعالم التاريخية التي ظلت حية في العهد الأيوبي ملامح معمارية اسلامية أو عربية. جرى مسح لمباني القدس التاريخية من قبل المدرسة البريطانية للآثار ومن قبل المؤسسات الاسلامية بالقدس الشريف نورد فيما يلي أهم تلك المعالم التي تعود الى العهد الأيوبي أو كانت حية فيه :

١ - المسجد الأقصى :

يعود بناء هذا المسجد الى العصور الاسلامية الباكرة ، وحافظ عليه المسلمون كمسجد طيلة عهودهم وإن لحقه الخراب أحياناً إلا أنه كان يجدّد أو يرمم باستمرار . ونتيجة لذلك طرأ تغيير على مخططه كما تشير المراجع التاريخية ، حوّل الافرنج عند احتلالهم القدس الشريف الى استعمالات أخرى ، وعندما حرر الأيوبيون القدس عملوا على إعادة إعمارهِ ورصفهِ بالفسيفساء وترقيمه وتخشيب قبتهِ وتجديد محرابهِ ، وتوجد اليوم كتابة فوق المحراب تشير الى ذلك تنص على ما يلي : « أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى ، الذي هو على التقوى مؤسس ، عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدين عندما فتحه الله على يديه سنة ٥٨٣ هـ وهو يسأل الله إذاعة شكر هذه النعمة وإجزال حظّه من المغفرة والرحمة » (٢٦) .

٢ - قبة الصخرة المشرفة :

بناء أقامه الامويون هو والمسجد الأقصى ، على تواتر الروايات ، حوله الافرنج عند احتلالهم القدس الى كنيسة ، وعندما حرره السلطان صلاح الدين الأيوبي أزال النقوش والصلبان التي رسمها الصليبيون على جدران الصخرة الداخلية وغطاها بالرخام ، وغسل الصخرة بماء الورد فبخرت وفرشت (٢٧) .

٣ - اليمارستان الصلاحي :

أقامه السلطان صلاح الدين عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م أي عقب تحرير القدس بقليل وقد أوقف عليه أوقافاً كثيرة وعيّن له كبار الأطباء وأصبح من أشهر اليمارستانات في تلك الفترة كما افتتح مدرسة للطب يتدرب الأطباء فيها . كان اليمارستان مقسماً الى عدة قاعات خصصت كل قاعة لنوع من الأمراض على نحو ما هو مألوف في ييمارستانات ذلك العصر ، تغطي قاعاته سقوف ذات أقبية متقاطعة أو سقوف برميلية ، تعرض البناء لزلزال عام ١٤٥٨ م فتهدمت

- على أثره أجزاء كثيرة من البيمارستان ، وهو اليوم عبارة عن مكان لسوق محلي .
- اتخذ البيمارستان الصلاحي مقراً له كنيسة في حي الدباغة (٢٨) .

٤ - الخانقاه الصلاحية :

أنشأها السلطان صلاح الدين عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م في المقر السابق لبطيريك القدس المجاور لكنيسة القبر المقدس من الناحية الشمالية وقد أوقفها السلطان على فقراء الصوفية من عرب وعجم مقابل أن يشاركوا بتلاوة آي الذكر الحكيم في حفلات الذكر وأن يقوموا بالدعاء للسلطان صاحب الحبس ، كان لهذه الخانقاه دور في الحياة الفكرية بالقدس الشريف وكانت مشيختها من الوظائف الهامة بالدولة الأيوبية والخانقاه تضم مسجداً وغرفاً للسكن ومرافق عامة ، وقد تابعت وظيفتها في العهد المملوكي كما تشير بعض البقايا المعمارية فيها ، وفي عام ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م أنشأ الشيخ برهان الدين بن غانم شيخها منارة لها ، ويذكر الحنبلي عن الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ عبدالله البغدادي أنه لما قصد الشيخ برهان الدين بن غانم بناء المنارة المذكورة شق ذلك على النصاري لكونها على كنيسة القيامة فدفعوا للشيخ مالا كثيراً على أن يترك بناءها فلم يقبل (٢٩) .

٥ - الزاوية الختنية :

أنشأها صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٧ هـ / ١٩٩١ وأوقفها على الشيخ جلال الدين أحمد بن محمد الشاش ، تضم الزاوية مدرسة أيضاً ، وقد طرأت تغييرات كثيرة عليها . هددت الحفريات الإسرائيلية هذه الزاوية بالسقوط لولا تدارك الأوقاف الإسلامية الأمر ، يشغلها اليوم مكتب تابع للجنة اعمار المسجد الأقصى المبارك ، يعدها البعض مدرسة أحياناً وأحياناً أخرى يعدونها زاوية . كان لها وقف بالقرن العاشر عبارة عن دار بخط القطانين (٣٠) .

٦ - قبة يوسف :

أنشأها صلاح الدين عام ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م ، وجدت عام ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م في العصر العثماني ، وتشير الكتابة التدشينية الموجودة عليها الى

ذلك • بناء القبة عبارة عن بناء مربع طول ضلعه يبلغ مترين ، تعلوه قبة محمولة من الجانب الشمالي على عمودين جميلين ، وهي مفتوحة من جميع جهاتها باستثناء الواجهة الجنوبية التي هي عبارة عن جدارية محراب صغير ، بأعلى بناء القبة كتابتان أحدها تعود إلى العهد الأيوبي ، أما الثانية فتعود إلى العهد الأيوبي ، أما الثانية فتعود إلى العهد العثماني وهي موجودة داخل البناء • يحتاج البناء إلى صيانة ، يعتقد أنها سميت قبة يوسف نسبة إلى اسم يوسف الذي هو صلاح الدين • تقع إلى الجنوب من فناء الصخرة بين القبة النحوية ومنبر برهان الدين عليها كتابة هذا نصها « بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على محمد النبي وآله أمر بعمارته وحفر الخندق مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين خادم الحرمين الشريفين وهذا البيت المقدس أبو المظفر يوسف بن أيوب محي دولة أمير المؤمنين ، أدام الله كيانه ونصر أعلامه في أيام الأمير الكبير سيف الدين علي بن أحمد أعزه الله سنة سبع وثمانين وخمسائة للهجرة النبوية (٣١) » •

٧ - سور القدس (إعادة بناء) :

أعاد السلطان صلاح الدين بناء أسوار القدس أو ما تخرب منها وتقويته عام ٥٨٧ هـ / ١٩٩١ م ، وقد عمل هو بنفسه وجاراه في ذلك أولاده وأمرأؤه وعماله ، خاصة بالمنطقة الممتدة بين باب العمود وباب الخليل ، كما تم حفر الخندق حول السور في عهده ، هذا وقد حرص الملوك الأيوبيون الذين جاءوا بعد صلاح الدين على تقوية الأسوار باستمرار حتى أصبح في عام ٦١٠ هـ / ١٢١٤ م في غاية المنعة والقوة ، إلا أنه في عام ٦١٦ هـ / ١٢١٧ م اضطر الملك المعظم عيسى إلى هدمه حتى لا يستفيد العدو منه على نحو ما أسلفنا ، وينقل العارف عن موفق الدين عبد اللطيف البغدادي وصفاً لاهتمام صلاح الدين ببناء السور بقوله :

(وكان مهتماً في بناء سور القدس وحفر خندق ، يتولى بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه وتأسى به جميع الناس ، الفقراء والأغنياء والضعفاء والأقوياء ، حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل ، ويركب لذلك قبل طلوع

الشمس الى وقت الظهر ويأتي وعيد الطعام ، ثم يستريح ، ويركب العصر ، ويرجع في المشاعل ويصرف أكثر الليل في تدبير ما يعمل نهاراً . (٢٢) .

٨ - المدرسة الصلاحية :

أنشأها السلطان صلاح الدين عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ووقفها عام ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م في الكنيسة المعروفة بكنيسة صند حنة (القديسة حنة) ، وكرسها لتدريس الفقه الشافعي وكانت هذه المدرسة تتمتع بمكانة عظيمة بوصفها مقر المذهب الفقهي السائد في العصرين الأيوبي والملوكي ، وذلك بعد شرائها من أصحابها ، فيما يذكر البعض أنها أقيمت في مكان دير للراهبات ، هجر مع رحيل الافرنج ، وقد فوض السلطان التدريس فيها الى القاضي بهاء الدين ابن شداد . ضربها عام ١٢٣٧ هـ / ١٨٢١ م زلزال فخر بها ، ثم أعطاها العثمانيون الى الافرنسيين عام ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦ م لوقوفهم الى جانبهم في حرب القرم فأعادها الافرنسيون مدرسة وكنيسة . وفي عام ١٩١٥ استردها العثمانيون وجعلوها كلية لتدريس العلوم الدينية عرفت باسم كلية صلاح الدين الأيوبي . وظلت كذلك حتى عام ١٩١٧ حين أخذ الانجليز البلاد فأعادوها الى الآباء البيض الذين أقاموا بها مدرسة تضم اليوم مدرسة ومكتبة ومتحفاً وكنيسة ، يوجد على مدخلها بلاطة تدشين تشير الى انشائها . أوقف عليها صلاح الدين أراضي البقعة بظاهر القدس وبركة املا بظاهر القدس والحمام المعروف بالبطرک بالقدس والقبو والحوانيت المجاورة له (٢٣) .

٩ - جامع عمر بن الخطاب :

أقام المسلمون هذا الجامع في وقت مبكر بالمكان الذي صلى فيه الخليفة عمر ابن الخطاب ، إلا أنه جدد في العصر الأيوبي عام ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م من قبل الأفضل بن صلاح الدين وأعيد بناء مئذنته في العصر الملوكي عام ٨٧٠ هـ - ١٤٦٥ م وهي مئذنة مربعة الشكل جميلة ، يولج الى هذا الجامع عبر مدخل تذكاري معقود ، أكبر الظن أنه بني في العصر العثماني : يتكون الجامع من بيت

للصلاة يقع في الجانب الجنوبي من الساحة المكشوفة وهو عبارة عن بناء بسيط مستطيل الشكل مغطى بأقبية متقاطعة وله محراب يتكون من حنية يعلوها نقش تذكاري . حالة البناء جيّدة إلا أنه يحتاج الى صيانة مستمرة (٢٤) .

١٠ - المطهرة :

أنشأها السلطان الملك العادل أبوبكر بن أيوب ووقفها عام ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م ووجد بناءها الأمير علاء الدين البصيري ناظر الحرم الشريف ، تتكون المطهرة من مجموعة من الغرف المخصصة للطهارة وأماكن للوضوء وفستقية كبيرة وهي قسمان : قسم للرجال وقسم للنساء ومجموعة غرف فوق طهارة النساء (٢٥) .

١١ - الكأس :

وهو عبارة عن بركة للوضوء تأخذ ماءها عبر قناة تأتي من الخليل على بعد عشرين ميلاً ، أنشأها السلطان العادل أبو بكر بن أيوب عام ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م وجددت في عهد السلطان قايتباي بتولي الأمير تنكز الناصري عام ٧٢٨ هـ - ١٣٢٧ م . تتألف البركة (الكأس) من حوض رخامي مستدير الشكل في وسطه نافورة وعلى جوانبه الخارجية صنابير يخرج منها الماء للوضوء حيث يجلس المتوضئون على مقاعد حجرية تحيط بالكأس . حالته اليوم جيدة لكنه يحتاج الى صيانة مستمرة (٢٦) .

١٢ - جامع النساء :

كان ابان العهد الصليبي قاعة للطعام خاصة بفرسان الهيكل ، حوله السلطان صلاح الدين الى مسجد عرف فيما بعد بجامع النساء ، يتألف بناؤه من بيت للصلاة ، يرتكز على جدار المسجد الأقصى الغربي في الزاوية الجنوبية الغربية من سور الحرم الشريف الغربي يقسم هذا المسجد الى ثلاثة أقسام حسب الوظيفة الحالية : القسم الأول ويشغله المتحف الاسلامي ، والقسم الثاني وهو القسم الشرقي وتشغله لجنة إعمار المسجد الأقصى ، أما القسم الثالث

وهو القسم الأوسط فيشغله مصنئ النساء • يتألف الجامع بأقسامه الثلاثة من اسكويين يقوم فوقها عدد من العقود المدببة وقد سقف ما بينهما بطريقة الأقبية المتقاطعة ، له عدد من النوافذ في الجدار الجنوبي والجدار الغربي ، يفتقر المصلئ الى محراب ، أما مدخله فهو في الجهة الشمالية وهو عبارة عن مدخل صغير يحيط به عمودان من الرخام حالته الحاضرة لا بأس بها (٢٧) •

١٣ - مسجد ولي الله محارب :

بني هذا المسجد في العهد الأيوبي من قبل ولي الله محارب عام ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م ، أوقف عليه بانيه أوقافاً كثيرة وتشير الى ذلك الكتابة التدشينية القائمة فوق مدخله • يتألف المسجد من بيت للصلاة صغير الحجم مستطيل الشكل له محراب جميل في منتصف واجهته الجنوبية أما سقفه فهو على شكل قبة نصف برميلي حالته الراهنة جيدة (٢٨) •

١٤ - قبة المعراج :

تقع في الجهة الشمالية الغربية من قبة الصخرة وهي مؤلفة من قبة خشبية مغطاة بالرصاص ترتكز على مجموعة من الأقواس المغلقة وتأخذ شكل المثلثين تزين أضلاع المثلثين أعمدة من الرخام يبلغ عددها نحو ثلاثين عموداً • جدد بناء هذه القبة عام ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م على يد الأمير عز الدين عثمان بن علي الزنجبيلي متولي القدس الشريف في عهد السلطان العادل أبي بكر بن أيوب ، وقد أقيمت قبل ذلك تخليداً لمعراج النبي محمد (ﷺ) الى السماء ، وتشير الى إنشائها أو ترميمها كتابة موجودة في كتاب فان برشيم في الكتاب الذي أصدره حول نقوش القدس (٢٩) •

١٥ - الزاوية الجراحية :

حملت هذا الاسم نسبة الى واقفها الأمير حسام الدين حسين بن شرف الدين عيسى الجراحي ، أحد قادة السلطان صلاح الدين ، وقد توفي هذا الأمير

ودفن في هذه الزاوية . يذكرها مجير الدين الحنبلي ويقول « انها بظاهر
القدس من الجهة الشمالية . أوقف عليها الواقف أوقافاً ورتب لها الوظائف ».
والزائر لهذه الزاوية اليوم يجد على جدارها الغربي من الخارج كتابة تأتي
على ذكر الحسين بن عيسى الجراحي . تتألف هذه الزاوية من فسحة سماوية
يحيط بها عدد من الغرف المختلفة في الحجم والمساحة والتسقيف أكبر غرفها
غرف الضريح . وهي عبارة عن بناء مربع الشكل بسيط التكوين تعلوه قبة،
بها محراب ؛ أضيف إليها حديثاً بيت للصلاة عام ١٣١٣ هـ - ١٨٩٥ م .
ويلحق بها مئذنة تقوم في الزاوية الشمالية الغربية (٤٠) .

١٦ - باب السلسلة وباب السكينة :

جدد هذان البابان أو أقيما في العهد الأيوبي وهما من الأبواب الرئيسية للحرم
الشريف . البابان مرتفعان تزينهما من الأعلى صنج حجرية مزرّرة ويغلق
كل منهما بصراعتين من الخشب السميكة، توجد بكل منهما فتحة (خوخة) صغيرة
لدخول الأشخاص ، تزين مدخل كل منهما ثمانية أعمدة رخامية أربعة من
كل طرف (٤١) .

١٧ - قبة سليمان :

اختلف مؤرخو العمارة في تحديد تاريخ إنشائها فبعضهم يذكر أنها
أنشئت في العهد الأموي والبعض الآخر يعيد انشاءها الى العصر الأيوبي وهذا
هو المرجح . البناء عبارة عن قبة محكمة البناء وبداخلها صخرة ثابتة تأخذ
الشكل المثلث تحيط به أربعة وعشرون عموداً من الرخام وسد ما بينهما بالواح
من الرخام ، تعلو البناء قبة لطيفة متناسبة مع البناء وحجمه . جددت هذه
القبة في العهد العثماني زمن السلطان محمد الثاني كما تشير الى ذلك كتابة
أوردها فان برشيم ، حملت هذه القبة أحياناً اسم قناطر السلطان محمود
الثاني وهي تقع بالقرب من باب الدويدارية (٤٢) .

١٨ - باب الناظر :

يعود بناء هذا الباب الى فترة سابقة للعهد الأيوبي إلا أنه جدد في عهد الملك المعظم عيسى عام ٦٠٠ هـ - ١٢٠٣ م . حمل هذا الباب اسم ميكائيل في بادئ الأمر ثم حمل اسم باب علاء الدين البصير ثم باب الحبس وباب النذير ، ويعرف الآن بباب الناظر أو باب المجلس الاسلامي الأعلى وهو باب ضخمة محكم البناء توجد في أعلاه صنيح مزررة له مصراعان من الخشب السميكة المصنوع بالنحاس (٤٣) .

١٩ - القبة النحوية أو المدرسة النحوية :

أنشأها الملك المعظم عيسى الأيوبي عام ٦٠٤ هـ - ١٢٠٧ م وكرسها لتدريس العلوم العربية ، اتخذها المجلس الاسلامي الأعلى مؤخراً مقراً لمكتبته ثم اتخذت مقراً للمكتب المعماري الهندسي لاصلاح قبة الصخرة المشرفة ، وهي الآن مكتب من مكاتب لجنة إعمار المسجد لأقصى . يتألف البناء العائد للقبة من غرفتين وصالة ، تعلوه قبة ، يقع البناء على طرف الصخرة من جهة القبلة بانحراف الى الغرب . يزيّن بناء القبة كتابة ذكرها فان برشيم تشير الى بناء القبة من قبل المعظم عيسى في التاريخ المذكور أعلاه على يد الأمير حسام قيماز والي بيت المقدس (٤٤) .

٢٠ - صهريج الملك المعظم عيسى :

بناه الملك المعظم عيسى الأيوبي ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م ويتألف من ثلاثة أروقة مغطاة بأقنية متقاطعة وله ثلاثة مداخل في الجهة الجنوبية وهي معقودة بعقود مدببة ، يوجد فوق المدخل الأوسط كتابة تشير الى اسم الباني وسنة البناء (٤٥) .

٢١ - المدرسة البدرية :

أنشأ هذه المدرسة الملك المعظم عيسى عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م بمساعي بدر الدين محمد بن أبي القاسم محمد الهكاري وهو من كبار المجاهدين في عصر

الحروب الصليبية . تقع هذه المدرسة وسط المدينة القديمة في الجانب الغربي من شارع القرمي الذي يقع بين شارع باب السلسلة وشارع السرايا ، المدرسة مندمرة الآن ولم يبق منها إلا بعض البقايا التي دمجت مع الأبنية الحديثة . على مدخلها كتابة نسخية أيوبية تنص على ما يلي : « بسملة . . . أنشأ هذه المدرسة المباركة على أصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه ، الولي الأمير الكبير الغازي المجاهد الشهيد بدر الدين محمد بن أبي القاسم الهكاري ، رحمه الله وتقبل منه في شهر سنة عشر وستماية وجعل نظرها الى الأرشد ، من أولاده ، كثّرهم الله تعالى وجعل سعيهم مشكوراً وذنبهم مغفوراً . ورحمه الله ولمن ترحم عليه » . وهناك كتابة أخرى تشير إلى أن الملكة العلية المجاهدة بدرية أمرت بإنشائها ؛ وضعها الآن سيء جداً وقد دخلت في بعض العقارات المجاورة كما أسلفنا . يذكر العارف أن المدرسة معدة للسكن وتسكنها عائلة علي نصرة التوتونجي واخوانه وهي تقع في حارة الواد (٤٦) .

٢٢ - القلعة :

هذه القلعة موجودة قبل العهد الأيوبي واستمرت تؤدي وظيفتها العسكرية في العهد الأيوبي وقد ضمت عدداً من الأبنية العامة كأماكن سكن الجنود والمسجد ، جددت في العصر الأيوبي وأضيف إليها عدد من الأبنية فقد بنى الملك المعظم عيسى برجاً حربياً فيها عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م ، وتشير الى ذلك كتابة موجودة على أحد جدرانها فوق حجر كلسي هذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . . لا إله إلا الله محمد رسول الله . . عمل هذا البرج المبارك بأمر مولانا الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبي المظفر عيسى ابن الملك العادل سيف أبي بكر محمد بن أيوب بن شادي وتولى عمارته عز الدين عمر بن يغمور المعظمي في شهر سنة عشر وستماية والحمد لله رب العالمين » . لقد كان عز الدين هذا متولياً على القدس وينزل بالقلعة (٤٧) .

٢٣ - الرواق الشمالي من الحرم الشريف :

أنشأ جزءاً من هذا الرواق الممتد من باب العتم غرباً الملك المعظم عيسى ، كما تشير إلى ذلك كتابة تدشينية يعود تاريخها الى عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م .

يقع هذا الجزء من الرواق أمام المسجد الأقصى بالجهة الشمالية وهي مؤلفة من سبعة أقواس ، وكذلك عمل الأبواب الخشبية الموجودة عند مدخل المسجد الأقصى الشمالي عام ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م ، وتقوم فوق هذا الجزء من الرواق المدرسة الأمينية والمدرسة الفارسية والمدرسة الملكية والمدرسة الاسعردية والمدرسة الصببية . ثم عمر ولده نجم الدين يوسف الجزء الممتد بين باب حطة وباب العتم عام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م يوم كان نائباً للقدس وناظراً للحرمين الشريفين (٤٨) .

٢٤ - باب العتم :

جدد هذا الباب في عهد الملك المعظم عيسى عام ٦١٠ هـ - ١٢١٣ م (٤٩) .

٢٥ - سبيل شعلان :

بناه الملك المعظم عيسى عام ٦١٣ هـ - ١٢١٦ م وجده في العهد المملوكي الأمير شاهين الذباح نائب القدس في عهد الملك الأشرف برسباي عام ٨٣٢ هـ - ١٤٢٩ م كما جدد في العهد العثماني في عهد السلطان مراد الرابع بتولي محمد باشا متولي القدس . يقع هذا السبيل في الطرف الشمالي من الحرم الشريف بالقرب من الرواق الذي بناه الملك المعظم عيسى . لا يعرف هل حافظ هذا السبيل على شكله الأول الذي كان عليه بالعهد الأيوبي ، ووضع الحالي عبارة عن بناء مربع الشكل له أربع دعائم صغيرة ، جانبه الغربي مسقوف وهو مفتوح بين الجوانب: الغربي والجنوبي والشمالي يضم السبيل بئراً وعليه كتابة تدشينية (٥٠) .

٢٦ - المدرسة المعظمية :

أنشأها الملك المعظم عيسى عام ٦١٤ هـ - ١٢١٧ م وأوقفها على أصحاب المذهب الحنفي وقد تحدثت عن ذلك لوحة التدشين ، تقع أمام باب شرف الأنبياء المعروف بباب الدويدارية وتسمى أحياناً المدرسة الحنفية ، تتألف المدرسة من طابقين ويولج إليها عبر مدخل يؤدي الى دركات تفضي إلى صحن . إلى الشمال

من هذا الصحن يقوم ايوان كبير مرتفع يتحلق حول الصحن عدد من الغرف والخللوي . يقول عارف العارف في كتاب المفصل في تاريخ القدس ص ٢٤٠ - ص ٢٤١ « دخلتها في اليوم العشرين من شهر شباط ١٩٤٧ فرأيت الخراب مغيماً على الجانب الأكبر منها وقد احتكر جانباً منها رجل من الخليل يدعى محمد دعسان، في جدارها القبلي كتابة تقول « أمر بعمله مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو العزائم عيسى بن أبي بكر بن أيوب الواقف هذه المدرسة على الفقهاء والمتفقه من أصحاب الامام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وأرضاه» وذلك في شهور سنة أربع عشرة وستماية للهجرة النبوية تقبل الله منه وغفر له وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

يلحق بهذه المدرسة مئذنة من إنشاء الملك القاهر كما تشير كتابة على الوجه القبلي من حائط المنارة على بلاطة رخامية نفذت بالخط النسخي الأيوبي أو المملوكي القديم وبأحرف صغيرة نصها كما يلي : « أمر بعمارة هذه المئذنة المباركة الملك القاهر الناظر بهذه المدرسة غفر الله له وتغمده برحمته والده الواقف السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى قدس الله روحه في شهور سنة ثلاث وسبعين وستماية » (٥١) .

٢٧ - باب حطة :

يعتبر هذا الباب من أقدم أبواب الحرم القدسي الشريف ، جدد عدة مرات آخرها في عهد الملك المعظم عيسى عام ٦١٧ هـ - ١٢٢٠ : يشير الى هذا التجديد نص كتابي موجود فوق المدخل العالي الارتفاع ، لهذا المدخل باب له مصراعان من الخشب السميك ، وتحيط بجانبَي المدخل مصطبتان حجريتان جميلتا الشكل (٥٢) .

٢٨ - تربة بركة خاتون :

أنشأها الأمير حسام الدين بركة خان قائد الخوارزمية الذين استقدمهم الملك الصالح نجم الدين أيوب للمشاركة في تحرير القدس وعندما استشهد عام ٩٤٤ م دفن فيها وكذلك دفن فيها ولداه بدر الدين محمد وحسام الدين كره بك .

جددت هذه التربة ووسعت في العصر المملوكي من قبل محمد بن أحمد العلاني عام ٧٩٢ هـ - ١٢٩٤ م تتألف هذه التربة من ساحة مكشوفة ، في التربة ثلاثة قبور : وفيها غرفة تستخدم الآن مكتبة لآل الخالدي (٥٢) .

٢٩ - قبة موسى :

أنشأها الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ - ١٢٥٠ م ، كما يشير النص التدشيني الموجود فوق المدخل ، يتكون بناء القبة من غرفة مربعة فوقها قبة بها عدد من المحاريب بالداخل والخارج ، يولج إليها من الجانب الشمالي وهي اليوم مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم . يذكر البعض أن القبة كانت موجودة قبل عهد الملك الصالح ولكنه أعاد إنشائها (٥٤) .

٣٠ - القبة القيمرية :

تنسب هذه القبة الى جماعة من المجاهدين من قلعة قيصر الواقعة في الجبال الواقعة بين الموصل و خلاط ، قبورهم فيها وهم : الأمير الشهيد حسام الدين أبو الحسن ابن أبي الفوارس القيمري الذي توفي عام ٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م ، والأمير ضياء الدين مدسي ابن أبي الفوارس وتوفي أيضاً في عام ٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م ، والأمير حسام الدين خضر القيمري وكانت وفاته عام ٦٦١ هـ - ١٢٦٢ م ، والأمير ناصر الدين أبو الحسن الحسن القيمري وكانت وفاته عام ٦٦٥ هـ - ١٢٦٦ م . وأضيف إلى قبور الأمراء الذين سبق ذكرهم قبر أمير من العهد المملوكي هو الأمير ناصر الدين محمد جابر بك أحد أمراء الطبليخانة وناظر الحرمين الشريفين بالقدس الشريف والخليل وكانت وفاته عام ٧٧٦ هـ - ١٣٧٤ م .

يتكون بناء القبة من بناء مربع الشكل حول أعلاه الى شكل مثنى لتشكيل رقبة مثمثة الشكل بها عدد من النوافذ تعلو هذه الرقبة قبة بديعة البناء ، يضم الجدار الجنوبي من البناء محراباً بسيطاً، تلحق ببناء القبة مئذنة . تقع هذه القبة بظاهر القدس في الطرف الشمالي مما يلي الغرب حسب قول الحنبلي ، بالقرب من مزار سيدنا عكاشة وبظاهرة قبور جماعة من المجاهدين (٥٥) .

● حامية وصيانة وترميم القدس الشريف :

لا مجال هنا للدخول في تفسير المصطلحات. فالحماية شيء والصيانة شيء آخر والترميم شيء ثالث ولكن المصطلحات الثلاثة تخدم هدفاً واحداً ألا وهو الحفاظ على المدينة التاريخية حيّة بأوابدها المعمارية وملاحها العمرانية وروائعها الفنية والأهم من ذلك سكانها وهذا أمر هام .

لا يمكن استعراض الأعمال السابقة التي قامت بها الحكومات العربية والمؤسسات والمنظمات الدولية والعربية من أجل قضية الحفاظ على مدينة القدس بطابعها العربي الاسلامي مشكورة^(٥٦). ولكن الذي أعرفه أنه رغم هذه الجهود فقضية الحفاظ على القدس تتراجع والتراث الثقافي والحضاري في حاجة ماسة الى الحماية والصيانة والترميم وعلى الرغم من أن هذه المسألة مسألة مستمرة على الدوام إلا أن المرء لا بد أن يسأل نفسه أين تكمن المشكلة ؟ أهى في تبعثر الجهود ؟ أم في آلية العمل نفسه أم أن المسألة تكمن في نقص الاعتمادات المالية المخصصة . ولأننا لسنا بصدد تحري الخلل الان نقول إن هذه القضايا الثلاث التي طرحتها موجودة على ساحة العمل في القدس الشريف ، فهناك تبعثر في الجهود وهناك نقص في الكوادر الفنية والفنية المساعدة ، وهناك الأهم وهو نقص الاعتمادات . فإذا عادت هذه الأمور الثلاثة لتعمل بانسجام وتنسيق فأنني أعتقد أن جزءاً كبيراً من المسألة سيحل .



□ الهوامش :

- ١ - انظر ما كتبناه عن الاطماع الافرنجية الصليبية في المقالة المنشورة بمجلة المنهل السعودى - العدد ٤٧٩ - السنة ٥٦ - مارس ١٩٩٠ .
- ٢ - انظر حول المملكة اللاتينية بالقدس : مصطفى الدباغ: في بلاد فلسطين - ج ٩ - ق ٢ - في بيت المقدس - دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت - صص ١٦٩-٢٠٤ ؛ وكذلك انظر شوقي شعث في كتاب القدس الشريف ، اميسكو ، الرباط ١٩٨٨ - ص ٣٦ ؛ وايضا انظر عارف العارف في كتابه المفضل في تاريخ القدس - ط ٢ - ١٩٨٦/١٤٠٦ - صص ١٥٨-١٦٢ .
- ٤ - عماد الدين زنكي الضابط السلجوقي واتبك الموصل ، قاد حركة الجهاد والمقاومة العربية الاسلامية التي بدأها سلفه على محور الموصل/حلب ، وبذلك صار اقوى حاكم مسلم في زمانه لأنه جعل قوته وموارده العسكرية في خدمة المطلب العربي الاسلامى العام .

٥ - انظر ما كتبه الباحث حول « الجيش العربي ووسائل الاستاد الأخرى في عهد صلاح الدين الأيوبي بمقال قدم الى الندوة العالمية التي عقدتها وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية عام ١٩٨٧ ، ونشر في مجلة تاريخ العرب والعالم البيروتية . وكذلك انظر جيش مصر في أيام صلاح الدين للدكتور نظير حسان سعداوي - ط ٢ - ١٩٥٩ - القاهرة .

٦ - قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية ، عالم المعرفة (١٤٩) ١٩٩٠ - صص ١٤٤-١٤٦ .

٧ - ليتل دونالد : القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك في « القدس في التاريخ » ١١٨٧-١٥١٦ م - عمان ١٩٩٢ ، ص ٢٠٦ - ترجمة الدكتور كامل العسلي .

٨ - العارف عارف : المفضل في تاريخ القدس ، نشره فوزي يوسف صاحب مكتبة الأندلس في القدس - ط ٢ - ١٤٠٦ / ١٩٨٦ - صص ١٧٥-١٧٦ .

٩ - كواكبي سعد زغلول : منبر المسجد الأقصى في دراسات وآثار فلسطين - المجلد الأول ١٩٨٤ - ص ١٠١ وهي عبارة عن وقائع الندوة الأولى للآثار الفلسطينية التي عقدت بجامعة حلب ، أشرف على طباعة أعمال الندوة وتحرير موداها الدكتور شوقي شعث .

١٠ - ليتل دونالد : المصدر السابق - ص ٢٠٧ .

١١ - لقد ذبح الافرنج الصليبيون أهل القدس المسلمين في مذبحة يتفق المؤرخون العرب والافرنج على بشاعتها، وطردوا من نجا منهم خارج القدس وأزالوا كل أثر يدل عليهم في المدينة كي تصبح أفرنجية خالصة على غرار مدنهم التي جاؤوا منها ، ولكن صلاح الدين لم يفعل هذا أبدا بل عامل الافرنج حين حرر المدينة بلطف وتسامح .

١٢ - كان ذلك بسبب أن العصر الأيوبي كان عصر جهاد ولا بد من انفاق الأموال على تجهيز الجيوش المحارب ضد الأعداء وتوفير كل ما يساعد على كسب المعركة واعداد الدعاة في المدارس والجوامع لحث الناس على الجهاد في سبيل الله وتحرير الأرض المقدسة .

١٣ - شكل المغاربة ظاهرة إيجابية في المشرق العربي الاسلامي، ساهمت في تحرير البلاد من الافرنج، فقد وفد الكثيرون منهم للجهاد في سبيل الله وأداء مناسك الحج ومنهم من جاء لأداء الفريضة معا . من المغاربة من استشهد ومنهم من استقر في بيت المقدس وشكل هؤلاء جالية كبيرة اتخذت من الحارة التي عرفت فيما بعد باسم حارة المغاربة مستقرا لهم وقد كان معظمهم من أهل السنة وعلى المذهب المالكي .

١٤ - من أشهر الاسبلة التي اقامها السلطان العادل أبو بكر السبيل المعروف بسقاية العادل أبي بكر أو المطهرة انشاه عام ٥٨٩ هـ ، وهناك اسبلة أخرى تعود الى العصر الأيوبي منها الكاس وقد بنى العادل بين الصخرة والمسجد الأقصى ، انظر العسلي من آثارنا في بيت المقدس - ص ٢٢٢ .

١٥ - للملك المعظم عيسى آثار جمّة بمدينة القدس نذكر منها : الأروقة التي امام المسجد الأقصى من الشمال والمؤلفة من سبع أقواس وكذلك الأبواب الخشبية التي تجدها عند مدخل الأقصى من الشمال ، ومنها المدرسة المعظمية والبرج القائم بوسط القلعة بباب الخليل ومنها سبيل شعلان والمدرسة البدرية وغيرها . انظر المفضل في تاريخ القدس صص ١٨٥ و ١٨٦ .

١٦ - ليتل دونالد : المصدر السابق - ص ٢٠٩ .

١٧ - هكذا كان يدعي الامبراطور فردريك الثاني لأن القدس كانت جوهر الصراع الافرنجي - الاسلامي ، ولأنه كان يريد أن لا تفشل الحملة التي قادها الى المشرق لذلك ألحّ في اقناع الملك الكامل، ومن هنا جاءت الاتفاقية محددة المدة .

١٨- استنكر المسلمون المعاهدة الكاملية - الفردريكية التي قضت بتسليم القدس الشريف الى الافرنج ، ومن مظاهر ذلك الاستنكار ما حدث بدمشق فقد يكى الناس فيها على ما جرى في بيت المقدس وزاد سخطهم على الملك بسبب تعرض ابن اخيه الملك الناصر صاحبها وبسبب دروس الحافظ شمس الدين سبط بن الجوزي مؤلف كتاب مرآة الزمان عن فضائل بيت المقدس واجتمع في الجامع الاموي بدمشق عدد من الناس وعلت أصواتهم واشتد بكاءهم وأنشد الحافظ شمس الدين المار ذكره قصيدة بلغت أبيتها ثلثمائة بيت منها :

على قبّة المعراج والصخرة التي تفاخر ما في الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر المرصات

- ١٩- المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ - ق ١ - ص ٢٠٤ .
- ٢٠- ليتل دونالد : المصدر السابق - ص ٢١١ .
- ٢١- كهن وشيوخ : مجلة الدراسات الشرقية ، ٢١ ، (١٩٧٧) ص ١٠٠ .
- ٢٢- ليتل دونالد : المصدر السابق - ص ٢١٣-٢١٤ .
- ٢٣- ليتل دونالد : المصدر السابق - ص ٢١٤ .
- ٢٤- الدباغ مصطفى : بلادنا فلسطين بيت المقدس (١) ص ٢٢٤ .
- ٢٥- الدباغ مصطفى : المصدر نفسه - ص ٢٢٦ .
- ٢٦- العارف في المفضل - ص ١٧٦ ، نجم في كنوز القدس - ص ٧٥-٧٦ ، جمعه في دراسات في تاريخ وآثار فلسطين - م ١ - ص ٦٥ وما بعده ؛ ربحاوي في دراسات بتاريخ وآثار فلسطين - ص ٨٥ وما بعد . هناك دراسات وبحوث كثيرة حول المسجد الأقصى يمكن للمتتبع العودة اليها في مظانها .
- ٢٧- العارف في المفضل - ص ١٧٥ ؛ نجم في كنوز القدس - ص ٧١-٧٢ ؛ وكذلك انظر ما ورد في الهامش رقم ٢٦ .
- ٢٨- ليتل دونالد : المصدر السابق - ص ٢٠٧ ، نجم المصدر السابق - ص ٩٢ ، الحنبلي في الانس الجليل - ج ٢ - ص ٣٤٠-٣٤١ .
- ٢٩- العارف في المفضل - ص ١٧٨-١٧٩ ؛ الحنبلي - المصدر السابق - ج ٢ - ص ٤٧ .
- ٣٠- عسلي كامل : معاهد القدس - ص ١٠٠-١٠٣ ، نجم - ص ٩٨ ؛ الحنبلي ٣٤/٢ ، ١٤٤ و ١٧٤ ؛ عسلي في دراسات - ص ١٨٩ .
- ٣١- نجم - ص ٤ ؛ بهنسي عفيف في دراسات بتاريخ فلسطين م ١ - ص ١٣٣ ؛ العارف في المفضل - ص ١٨٠-١٨١ .
- ٣٢- نجم - ص ١٠٠ ؛ العارف في المفضل - ص ١٨٠ .
- ٣٣- نجم - ص ١٠٢ ، العسلي معاهد العلم - ص ٥٤ ؛ ليتل - ص ٢٠٧ ؛ العسلي في دراسات - ص ١٩٠ ؛ العارف في المفضل - ص ١٧٩-١٨٠ .
- ٣٤- نجم - ص ١٠٤ ؛ بهنسي ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ ؛ الحنبلي ١٣/٢ و ١٣ : الدباغ في بيت المقدس ٩٥ و ٩٤/١ .
- ٣٥- نجم - ص ١٠٦ ؛ الحنبلي ٣١/٢ ؛ الدباغ بيت المقدس ٢١٣/١ .
- ٣٦- نجم - ص ١٠٨ ؛ بهنسي - ص ١٣٥ .
- ٣٧- نجم - ص ١٠٩-١١٠ ؛ بهنسي - ص ١٣٥ .
- ٣٨- نجم - ص ١١٠-١١١ .

٣٩- نجم - ص ١١٢ : بهنسي - ص ١٣٢ : فان برشيم - ص ٣٧ وص ٥٤ .

٤٠- نجم - ص ١١٣ : عسلي - معاهد العلم - ص ٣٤٣ : الحنبلي - ج ٤٨/٢ .

٤١- بهنسي - ١٢٨ : نجم - ١١٥ .

٤٢- فان برشيم - ٢٠٤ : نجم - ١١٧ : بهنسي - ١٣٦ : الحنبلي - ج ٢١/٢ .

٤٣- بهنسي - ١٢٨ : نجم - ١١٨ .

٤٤- الحنبلي - ج ٣٤/٢ : نجم - ١٠٩ : فان برشيم - ٦١ : بهنسي - ١٣٣ .

٤٥- نجم - ١٢٤ .

٤٦- الحنبلي ٤٧/٢ : العارف ١٨٥ و ٢٤٠ : العسلي - معاهد العلم - ٢٠٥-٢٠٦ : نجم - ١٢٥-١٢٦ .

٤٧- الحنبلي - ج ٥٥/٢ : العارف - ١٨٥ : نجم - ١٢٨ .

٤٨- العارف - ١٨٥ : نجم - ١٣١ .

٤٩- نجم - ١٣٢ .

٥٠- العارف - ١٨٥ : نجم - ١٣٣ .

٥١- العارف - ٢٤٠-٢٤١ : العسلي - في معاهد العلم - ٢٧٣-٢٨٠ : نجم - ١٣٤-١٣٥ .

٥٢- الحنبلي - ج ٤٩/٢ : نجم - ١٣٦ : العارف في الحرم القدسي - ٨٧ و ٩٢ .

٥٣- العسلي - في معاهد العلم - ٧٢ وفي أجدادنا في ثرى القدس - ٧٣-٧٥ : الحنبلي - ٤٥/٢ ، نجم - ١٣٧ .

٥٤- بهنسي - ١٣٦ : ليتل - ٢١٣ : نجم - ١٣٩ .

٥٥- نجم - ١٤٠-١٤١ : الحنبلي - ٤٨/٢ : العارف في المفضل - ص ٥١٣ .

٥٦- هناك الكثير من المؤسسات والهيئات التي أحدثت للاهتمام بشؤون ترميم وصيانة المعالم التاريخية في مدينة القدس الشريف تأتي في طليعتها لجنة اعمار المسجد الاقصى والصخرة المشرفة التابعة لوزارة الأوقاف الأردنية ، مركز ترميم وصيانة وتوثيق القدس الشريف التابع لجامعة الدول العربية ، لا تزال الأولى تمارس أعمالها وقد قامت بأعمال جليلة من أهمها ترميم المسجد الاقصى بعد حريقه المقتتل عام ١٩٦٩ ؛ أما المركز فقد بدأ نشاطه الا انه بدأ يتراجع بسبب نقص الاعتمادات وهي اعتمادات قليلة جداً اذا ما قورنت بأهمية القدس الروحية لدى المسلمين ومع الدموع التي تدرى على الاقصى .

وهناك مؤسسات قدمت بعض المساعدات في حقل الدراسات والمؤسسات المقدسية مثل منظمة المدن العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واليونسكو وغيرها مما يضيق المجال هنا لذكره .

٥٧- المراكز التاريخية منتشرة في دول أوروبا الغربية والشرقية ، ففي ايطاليا مثلاً كثير من المراكز التاريخية : كمراكز بولونيا والبندقية وروما ٠٠٠ الخ وفي ألمانيا ويوغوسلافيا . وقد قامت هذه المراكز بأعمال كبيرة في حقل الدراسات ونشرت الكثير من أعمالها ، ويمكن الاستفادة من تجارب تلك المراكز في مركز القدس المقترح .



□ المراجع العربية :

- ١ - مجيد الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - جزءان - عمان ١٩٧٣ - نشر مكتبة المحتسب .
- ٢ - العارف عارف : المفضل في تاريخ القدس - الطبعة الثانية - القدس ١٩٨٦ - الناشر : مكتبة الإندلس بالقدس .
- ٣ - بهنسي عفيف : المنشآت الأثرية في الحرم الشريف ، تاريخ انشائها وتجديدها في دراسات في تاريخ وآثار فلسطين - م ١ - جامعة حلب ١٩٨٤ - بتحرير الدكتور شوقي شعث .
- ٤ - العسلي كامل : معاهد العلم في بيت المقدس - عمان ١٩٨١ .
- ٥ - : معلومات جديدة عن مدارس القدس الإسلامية مستخلص من سجلات المحكمة الشرعية في القدس ، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين - م ١ - جامعة حلب ١٩٨٤ .
- ٦ - ليتل دونالد : القدس تحت حكم الأيوبيين والمماليك (١١٨٧-١٥١٦) في القدس في التاريخ - عمان ١٩٩٢ - عربي محرر الطبعة الانجليزية من الكتاب الدكتور كامل العسلي .
- ٧ - شعث شوقي : القدس الشريف - ايسيسكو ، الرباط ١٩٨٨ .
- ٨ - نجم رائف وآخرون : كنوز القدس ، منشورات منظمة المدن العربية وماب - ط ١ - ١٩٨٣ .
- ٩ - الدباغ مصطفى مراد : بلادنا فلسطين - جم/ق ٢ - في بيت المقدس (١) - دار الطبعة: بيروت - ط ١ - ١٩٧٥ .
- ١٠ - المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك - ج ١ - ق ١ .
- ١١ - الإمام رشاد : مدينة القدس في العصر الوسيط (١١٥٢-١٥١٦ م) - الدار التونسية للنشر .



□ المراجع الأجنبية :

- 12 — PETERS F. E., Jerusalem, 1985, Princeton university, 1985.
- 13 — Van BERCHEM'S Matériaux Pt. II, II, Jerusalem, Haram.
- 14 — Claude C. and Chabbouh I., le testament d'al Malik as Salih Ayyub, Bull. d'Etude Orientale XXIX, 1977.
- 15 — Duncan A., the Noble Sanctuary, Portait of a Holy Place in Arabic Jerusalem 1972.
- 16 — , Conserving muslim Jerusalem, Arts of Islamic World Vol. 4 N° 3, 1987.
- 17 — Shaath Sh., Threats facing Jerusalem, Arts of Islamic World Vol. 4 N° 3, 1987.

